بجهله وعرامته ثم صفق وطرب ونعر وصعق على تصورها وربما رايت المني قد ملا ازار ذلك المحب عند
صعقته وحمقى العامة قد ملاوا اردانهم بالدموع لما رققهم من حاله وقرى تحبون ويحببكم من حبه
يحبه قال اخب ابا ثروان من حب تمره واعلم ان الرزق بالجار ارفق والله لولا تمره ما حببته ولا كان ادنى
من عبيد ومشرق فان تولوا يحتمل ان يكون ماضيا وان يكون مضارعا بمعنى فان تتولوا ويدخل في جملة ما يقول
الرسول لهم ال ابرهيم اسمعيل واسحق واولادهما وال عمران موسى وهرون ابنا عمران ابن يصهر وقيل عيسى
ومريم بنت عمران بن ماثان وبين العمرانين الف وثمانمائة سنة ذرية بدل من ال ابرهيم وال عمران بعضها من بعض
يعني ان الالين ذرية واحدة متسلسلة بعضها متشعب من بعض موسى وهرون من عمران وعمران من يصهر ويصهر من
قاهث وقاهث من لاوي ولاوي من يعقوب وكذلك عيسى بن مريم بنت عمران بن ماثان بن سليمان بن داود بن ايشى
يهوذا بن يعقوب وقد دخل في ال ابرهيم رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل بعضها من بعض في الدين كقوله المنافقون
والمنافقات بعضهم من بعض والله سميع عليم يعلم من يصلح للاصطفا او يعلم ان بعضهم من بعض في الدين او سميع
عليم لقول امراة عمران ونيتها واذ منصوب به وقيل باضمار اذكر وامراة عمران هي امراة عمران بن ماثان ام مريم
البتول جدة عيسى صلوات الله عليه وهي حنة بنت فاقوذ وقوله اذ قالت امرات عمران على اثر قوله وال عمران
مما يرجح ان عمران هو عمران بن ماثان جد عيسى والقول الاخر يرجحه ان موسى يقترن بابرهيم كثيرا في الذكر فان قلت
كانت لعمران بن يصهر بنت اسمها مريم اكبر من موسى وهرون ولعمران بن ماثان مريم البتول فما ادراك ان عمران
ابو البتول هو ابو مريم البتول دون عمران ابو مريم التي هي اخت موسى وهرون قلت كفى بكفالة زكريا دليلا
على ان عمران ابو البتول لان زكريا بن اذن وعمران بن ماثان كانا في عصر واحد وقد تزوج زكريا بنته ايشاع اخت
مريم فكان يحيى وعيسى ابني خالة روي انها كانت عاقرا لم تلد الى ان عجزت فبينا هي في ظل شجرة بصرت بطائر
يطعم فرخا له فتحركت نفسها للولد وتمنته فقالت اللهم ان لك علي نذرا شكرا ان رزقتني ولدا ان
اتصدق به على بيت المقدس فيكون من سدنته وخدمه فحملت بمريم وهلك عمران وهي حامل محررا معتقا لخدمة
بيت المقدس لا يد لي عليه ولا استخدمه ولا اشغله بشيء وكان هذا النوع من النذر مشروعا عندهم وروي انهم
كانوا ينذرون هذا النذر فاذا بلغ الغلام خير بين ان يفعل وان لا يفعل وعن الشعبي محررا مخلصا للعبادة
وما كان التحرير الا للغلمان وانما بنت الامر على التقدير او طلبت ان ترزق ذكرا فلما وضعتها الضمير
لما في بطني وانما انث على المعنى لان ما في بطنها كان انثى في علم الله او على تاويل الحبلة والنفس والنسمة فان قلت
كيف جاز انتصاب انثى حالا من الضمير في وضعتها وهو كقولك وضعت الانثى انثى قلت الاصل وضعته
انثى وانما انث لتانيث الحال لان الحال وذا الحال لشيء واحد كما انث الاسم في ما كانت امك لتانيث
الخبر ونظيره قوله تعالى فان كانتا اثنتين واما على تاويل الحبلة والنسمة فهو ظاهر كانه قيل اني وضعت الحبلة
او النسمة انثى فان قلت فلم قالت اني وضعتها انثى وما ارادت الى هذا القول قلت قالته تحسرا على ما
رات من خيبة رجائها وعكس تقديرها فتحزنت الى ربها لانها كانت ترجو وتقدر ان تلد ذكرا ولذلك نذرته
محررا للسدانة ولتكلمها بذلك على وجه التحسر والتحزن قال الله تعالى والله اعلم بما وضعت تعظيما لموضوعها
وتجهيلا لها بقدر ما وهب لها منه ومعناه والله اعلم بالشيء الذي وضعت وما علق به من عظائم الامور
وان يجعله وولده اية للعالمين وهي جاهلة بذلك لا تعلم منه شيئا فلذلك تحسرت وفي قراءة ابن عباس رضي الله عنه
والله اعلم بما وضعت على خطاب الله لها اي انك لا تعلمين قدر هذا الموهوب وما علم الله من عظم شانه وعلو قدره
وقرئ وضعت بمعنى ولعل لله فيه سرا وحكمة ولعل هذه الانثى خير من الذكر تسلية لنفسها فان قلت فما معنى

قوله

قوله وليس الذكر كالانثى قلت هو بيان لما في قوله والله اعلم بما وضعت من التعظيم للموضوع والرفع منه ومعناه
وليس الذكر الذي طلبت كالانثى التي وهبت لها واللام فيهما للعهد فان قلت علام عطف قوله واني سميتها
مريم قلت هو عطف على اني وضعتها انثى وما بينهما جملتان معترضتان كقوله وانه لقسم لو تعلمون عظيم فان قلت
فلم ذكرت تسميتها مريم لربها قلت لان مريم في لغتهم بمعنى العابدة فارادت بذلك التقرب والطلب اليه ان
يعصمها حتى يكون فعلها مطابقا لاسمها وان يصدق فيها ظنها بها الا ترى كيف اتبعته طلب الاعاذة لها ولولدها
من الشيطان واغوائه وما روي من الحديث ما من مولود يولد الا والشيطان يمسه حين يولد فيستهل صارخا
من مس الشيطان اياه الا مريم وابنها فانهما كانا معصومين وكذلك كل من كان في صفتهما كقوله لاغوينهم اجمعين الا عبادك
منهم المخلصين واستهلاله صارخا من مسه تخييل وتصوير لطمعه فيه كانه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول هذا ممن اغويه
ونحوه من التخييل قول ابن الرومي لما تؤذن الدنيا به من صروفها يكون بكاء الطفل ساعة يولد
واما حقيقة المس والنخس كما يتوهم اهل الحشو فكلا ولو سلط ابليس على الناس ينخسهم لامتلات الدنيا صراخا
وعياطا مما يبلونا به من نخسه فتقبلها ربها فرضي بها في النذر مكان الذكر بقبول حسن فيه وجهان احدهما
ان يكون القبول اسم ما يقبل به الشيء كالسعوط واللدود لما يسعط به ويلد وهو اختصاصه لها باقامتها مقام
الذكر في النذر ولم يقبل قبلها انثى في ذلك او بان تسلمها من امها عقيب الولادة قبل ان تنشا وتصلح للسدانة
روي ان حنة حين ولدت مريم لفتها في خرقة وحملتها الى المسجد فوضعتها عند الاحبار ابناء هارون وهم
في بيت المقدس كالحجبة في الكعبة فقالت لهم دونكم هذه النذيرة فتنافسوا فيها لانها كانت بنت امامهم وصاحب
قربانهم وكانت بنو ماثان رؤوس بني اسرائيل واحبارهم وملوكهم فقال لهم زكريا انا احق بها عندي خالتها فقالوا
لا حتى نقترع عليها فانطلقوا وكانوا سبعة وعشرين الى نهر فالقوا فيه اقلامهم فارتفع قلم زكريا فوق الماء ورسبت
اقلامهم فتكفلها والثاني ان يكون مصدرا على تقدير حذف المضاف بمعنى فتقبلها بذي قبول حسن اي بامر ذي
قبول حسن وهو الاختصاص ويجوز ان يكون معنى فتقبلها فاستقبلها كقولك تعجله بمعنى استعجله وتقضاه بمعنى استقضاه
وهو كثير في كلامهم من استقبل الامر اذا اخذه باوله وعنفوانه قال القطامي وخير الامر ما استقبلت منه
وليس بان تتبعه اتباعا ومنه المثل خذ الامر بقوابله اي فاخذها في اول امرها حين ولدت بقبول
حسن وانبتها نباتا حسنا مجاز عن التربية الحسنة العائدة عليها بما يصلحها في جميع احوالها وقرئ وكفلها
زكريا بوزن وعملها وكفلها زكرياء بتشديد الفاء ونصب زكريا والفاعل هو الله تعالى بمعنى وضمها اليه وجعله كافلا
لها وضامنا لمصالحها ويؤيدها قراءة ابي واكفلها من قوله فقال اكفلنيها وقرا مجاهد فتقبلها ربها وانبتها وكفلها
على لفظ الامر في الافعال الثلاثة ونصب ربها تدعو بذلك اي فاقبلها يا ربها وربها واجعل زكريا كافلا لها قيل بنى لها
زكريا عليه السلام محرابا في المسجد اي غرفة يصعد اليها بسلم وقيل المحراب اشرف المجالس ومقدمها كانها وضعت
في اشرف موضع من بيت المقدس وقيل كانت مساجدهم تسمى المحاريب وروي انه كان لا يدخل عليها الا هو
وحده وكان اذا خرج غلق عليها سبعة ابواب وجد عندها رزقا كان رزقها ينزل عليها من الجنة ولم ترضع ثديا
قط فكان يجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف وفاكهة الصيف في الشتاء انى لك هذا من اين لك هذا الرزق الذي
اليك قالت هو من عند الله فلا تستبعد قيل تكلمت وهي صغيرة كما تكلم عيسى وهو في المهد وعن النبي صلى الله عليه وسلم
انه جاع في زمن قحط فاهدت له فاطمة رضي الله عنها رغيفين وبضعة لحم اثرته بها فرجع بها اليها فقال هلمي
يا بنية فكشفت عن الطبق فاذا هو مملوء خبزا ولحما فبهتت وعلمت انها نزلت من عند الله فقال لها صلى الله
عليه وسلم انى لك هذا فقالت هو من عند الله ان الله يرزق من يشاء بغير حساب فقال عليه السلام الحمد لله الذي

فالله اعلم بصحته فان صح فمعناه ان كل مولود يطمع الشيطان في اغوائه الا مريم وابنها

Copyright King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)